

مِنْ عَلَّـمْ قَطْرَ إِلَى يَا تَمِيمَ الْمَجْدِ: تَخْبِطُ وَسْدَاجَةُ السُّعُودِيَّةِ

علاقة محمد بن سلمان بكُورة القدم أكثر من ممتازة. تتوافق بشكل مُطّرد مع مسعاه لتغيير المجتمع وخلق طبقة شابة يستمدّ منها شرعية مُطلقة. وهي أيضاً فرصة ذهبية بالنسبة إلى «قائد الشباب» الذي يُجيد استثمار كلّ نصر كُروي في مشروعه السياسي. صحيح أن صعود دونالد ترامب إلى رئاسة الولايات المتحدة، في عام 2017، هو الذي لعب الدور الأكبر في انفراد الملك سلمان وأبنائه بالحكم، بعد شهر واحد من الزيارة الخارجية الأولى للرئيس الأميركي السابق إلى «مؤتمر الرياض»، حيث جرى الانقلاب على ولی العهد ووزير الداخلية محمد بن نايف، بيد أن الانقلاب الأكثر عمقاً، أيًّاً اجتثاث القوى المحافظة المُوالبة لابن نايف، بدأ لاحقاً، في شهر أيلول من العام نفسه. منذ البداية، بادر ابن سلمان إلى شراء جميع تذاكر الجمهور السعودي في المواجهة الحاسمة ضدّ اليايان ضمن تصفيات مونديال روسيا 2018، وهو ما سُوق إعلامياً تحت هاشتاغ «#شكراً_محمد_بن_سلمان». ثمّ جاء الفوز والتأهّل رسميًّاً إلى كأس العالم، لأول مرّة منذ ابني عشر عاماً، لتنسب آلة الدعاية السعودية كلّ الفضل إليه، تحت هاشتاغ «#وجه_الخير»، في إشارة إلى حضوره داخل الملعب ومؤازرته المنتخب الوطني.

لم تكن لحظة تأهّل «منتخب الخضر» في أوائل أيلول 2017، مجرّد حدث عرضي. هنّاً نائب رئيس دولة

الإمارات، محمد بن راشد، لاعبي المنتخب السعودي بصفتهم «رجال سلمان». وتضمّنت تهاني أمراء المناطق الإشادة باهتمام ودعم ورعاية «القيادة الرشيدة» للرياضة والشباب. بشكل أو آخر، يمكن أن يُلمس استثمار الحدث الرياضي دعائياً لصالح مشروع ابن سلمان، الذي بدأ بوتيرة سريعة في أعقاب تلك اللحظة الرياضية المشحونة بالمشاعر الوطنية، لينتهي إلى « أسبوع الانفتاح» أواخر الشهر عينه. مذْج النساء أخيراً حقّ قيادة السيارة، والسماح لهنّ بدخول الملعبين الرياضيين، وتعيين امرأة ناطقة باسم سفارة المملكة في الولايات المتحدة، ومشاركة المرأة في الإفتاء، كلّها حقوق طبيعية وبديهية بدت متعلّقة بالنساء حسراً، لكنها في جوهرها تسير بشكل مُوازٍ مع مشاريع الترفيه ودعم الشباب. وكلاهما يسيران في خطٍّ مُعاكس للطبيقة المحافظة السائدّة بهدف إزاحتها، ولا سيما أنها تزامنت مع توقف (إيقاف؟) الأمير «عوزز»، ابن الملك السابق فهد بن عبد العزيز، عن التغريد عبر منصّة «تويتر»، وهو من أكثر النساء في الجيل الثاني عداءً للやりاليين والإمارات.

عاد ابن سلمان الكَرّة. قُبِيل وقت قصير من انطلاق مونديال 2018، قدّم ما يزيد عن 1.2 مليار ريال سعودي، تسدیداً لديوان الأندية المحلية، ودعماً لها في التعاقدات الصيفية، وإبقاءً برواتب اللاعبين المتأخّرة. حدث هذا طبعاً تحت هاشتاج آخر، «#محمد_بن_سلمان_ينقذ_الأندية»، لكن هذه المرّة سرعان ما اصطدمت آلة الدعاية بواقع خُماسية المنتخب الروسي في شباك السعوديين. في تلك اللحظة، خلال المباراة الافتتاحية للمونديال الروسي، بدا ابن سلمان مطأطئاً رأسه بحوار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين. لم يَبُأْس. استمرّت الحاشية في العمل على قدمٍ وساقي. أعلن تركي آل الشيخ تغيير مسمّى الدوري السعودي لموسم 2018-19 بشكل استثنائي إلى «كأس دوري الأمير محمد بن سلمان». وسيصبح الاستثناء دائمًا (وفق تعبير جورجيو أغامبين) في الموسم التالي، بفضل رئيس «الهيئة العامة للرياضة»، عبد العزيز بن تركي الفيصل. ومنذ ذلك الوقت، فاز «نادي الهلال السعودي» في دوري أبطال آسيا مرّتين في ظرف ثلاث سنوات. كما فازت منتخبات الشباب ببطولة كأس العرب (تحت 20 سنة) مرّتين، وكأس آسيا (تحت 23 سنة) مرّة، وكأس آسيا تحت 19 سنة. والأهمّ، تأهلَ المنتخب الأوّل للأولمبياد للمرّة الأولى منذ أربعة وعشرين عاماً. وكالعادة، نُسبت جميع هذه الإنجازات الرياضية، حسراً، إلى شخص ولّي العهد وما أوّله من اهتمام ورعاية للشباب.

إلى ذلك، ليس غريباً أنَّ يصرف الحساب الرسمي للمنتخب السعودي، ابن سلمان، بـ«قائد الشباب»، ويربط هذا بـ«رؤية 2030» (أو ربّما 2040). بالنسبة إلى الأخير، فإن كلّ حدث ينبغي تطويقه لخدمة رؤيته المستقبلية، كَمَّان يدفع الكُرّة أمامه ويركم خلفها. وإنْ كان ما سبق يتعلّق بكرة القدم في الداخل، فإن شراء «صندوق الاستثمار السعودي» لنادي «نيوكاسل يونايتد» الإنكليزي يرتبط أكثر بتلّميس صورة ابن سلمان في الخارج، وهو ما وصفته «منظمة العفو الدولية» في حينه بـ«ديناميكيّة الغسيل

الرياضي». وأشارت المنظمة، أيضاً، في وقت لاحق، إلى «قوّة المال السعودي، وتصميم المملكة على استغلال الرياضة لتحسين سمعتها وسجلّها الحقوقي الملطّـخ بالدماء». تتطبق الإشارة نفسها على الشأن الداخلي، ولا سيما أن التغيير الاجتماعي القسري الذي بدأ قبل خمس سنوات، لا تزال أمامه أشواط طويلة.

في ملابع الدوحة وضواحيها، لن يَجْحُمَ المنتخب السعودي بآلامه بعيداً. «أعرف أن مجتمعتنا صعبة، لا أحد يَتَوقّعُ مِنّـا أن نتعادل أو نفوز، فقط كلّـ ما أقوله لكم كونوا مرتاحين، العبوا لعبكم واستمتعوا بالبطولة (...). لا أريدكم أن تكونوا تحت ضغط نفسى يمكن أن يؤثّـر على أدائكم الطبيعي». جاءت هذه التوصيات خلال استقبال ابن سلمان للمنتخب السعودي قُبيل خوض المباريات الودّـية، فوصلّـ بها الصحافي الرياضي، فواز الشريفي، بأنها «كلمات فذّـية أكثر منها إدارية ومثلّـت دافعاً حقيقياً للأداء المثالي حين أزاح - حفظه الله - مـن على أكتاف نجوم الأخضر ضغوطاً نفسية ثقيلة (...).» (عكاظ، 24 تشرين الأول 2022). وكذلك فعل الناقد الرياضي، عبد الكريم الجاسر، باعتبار حديث ابن سلمان «وصفة mondial الملكية» (الرياضية، 25 تشرين الأول 2022).

لا أحالم وردية إذاً، على وقْـع أغنية «يا سعودي منصور» (كلمات رئيس الهيئة العامة للترفيه تركي آل الشيخ)، وإنّـما، كما حدث في النسخة السابقة، خطوات محسوبة بعناية في الطريق إلى قطر المجاورة. الأغنية المصاحبة للمنتخب هذه المرّـة، تقول بصوت محمد عبده «امضوا بعزم سلمان ومحمد لأعلى القمم والمجد يتتجدّـ». مع هذا، لا يبحث السعوديون عن ما هو أكثر من «خسارة مُشرّـفة» أمام الأرجنتين، أو «أداء بطولي» ضدّـ المكسيك، وربّـما «تعادل عادل» مع بولندا. نتائجُـ مهما بدت باهتهة يمكن استثمارها سياسياً بالنسبة إلى مـن أصبح منذ أواخر أيلول الماضي يشغل أيضاً منصب رئيس مجلس الوزراء، ويسعى إلى تحقيق قفزات سريعة قبل وصول نـيـا وفاة الملك سلمـان. مـهما بـدت نـتـائـجـ المنتخب السعودي باهـتهـةـ فـسيـكونـ بـالـإـمـكـانـ اـسـتـثـمـارـهـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ ابنـ سـلمـانـ